مفتتح العدد

مَا كانَ لِمَا سَيكونُ

وسيم الكردي

لمنْ يعرفونَ هذه الساعة التي دُرِجَ على تسميتها بـ"ساعة الفيل" لأبي العز بن إسماعيل الجزري، والتي يسميها هو بـ "فنكان الفيل يُعرَفُ منه مضي الساعات المستوية"، ولمن لا يعرفونها، فيمكنهم اللجوء إلى كتابه المشهور "**الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**"، الذي يتضمن عدداً من الآلات المذهلة، وهو كتاب ألّفه قبل ثمانمائة عام، حيث يرد تفصيل الساعة وصفاً ورسومات[1] على مدى 31 صفحة. وفي الحقيقة، وفي حدود معرفتي، فلا أصل مجسماً موجوداً لها، وكل ما نراه في أمكنة مختلفة من العالم كمجسّماتٍ لها، يمثّل محاكاةً لرسومات الكتاب وتوصيفاته.

وهنا أطرحُ سؤالاً لا يتغيا جواباً سنجده خلال بحثنا، بل سؤال يتغيا إعادة موضعة العلاقات واستكشاف الروابط: «ضمن أي علم يمكن لنا إدراج هذه الساعة؟»، أو لنطرح السؤال في صيغة أخرى: «إذا ما تسنى لنا أن نصنع أو نمتلك مجسماً لهذه الساعة، فإي نوع من المتاحف ينبغي لنا أن نضعه فيه؟»: هل نضعه في متحف التاريخ، أم في متحف الدين، أم متحف العلوم، أم متحف التكنولوجيا، أم متحف الذاكرة، أم متحف الفنون، أم متحف الحرف، أم متحف اللغة، أم متحف الصناعات، أم متحف الميكانيكا، أم متحف الوقت أم متحف ... أم غير ذلك؟

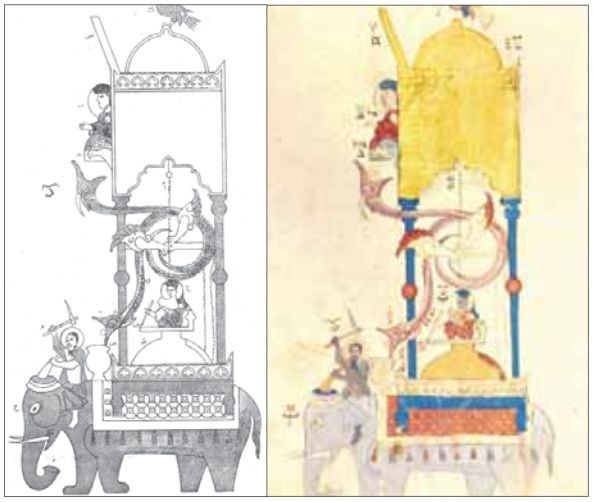

إن الناظر إلى «الشكل الرابع من النوع الأول»؛ وهو عنوان الفصل المخصص من الكتاب لـ «فنكان الفيل»، سيلتبس عليه الأمر، أو تتوسع لديه الصورة، فهناك قدر من الحيرة، وهناك قدر آخر من الوضوح؛ لأننا سنجد في هذه الساعة ما يمكّننا من إدراجها في كل واحد من هذه الفضاءات، وربما استحداث فضاء جديد لها،

حيث يلمها جميعها معاً؛ فترى الترابطات والتداخلات والأبعاد والتنويعات وهي مجسدة في عمل واحد متكامل مترابط، فهي تتضمن؛ الحاجة لمعرفة الوقت، توظيف الماء في الآلة، توظيف الأشكال الهندسية بما فيها الكرات، توظيف الكائنات الحية؛ كالحيوانات والطيور (ثعبانين، طير، فيل)، توظيف الحركة، الأتمتة وأول إنسان آلي في التاريخ، التكنولوجيا، الحاسوب، توظيف مكونات تاريخية من ثقافات مختلفة، وهي: أ) منحوتة خشبية لفيل هندي. ب) برجٌ يتضمن ثعبانين صينيين ملتويين. ج) عنقاء مصرية. د) تقنية مائية فينيقية. ه) ثلاث شخصيات عربية. و) قطع من السجاد الفارسي.

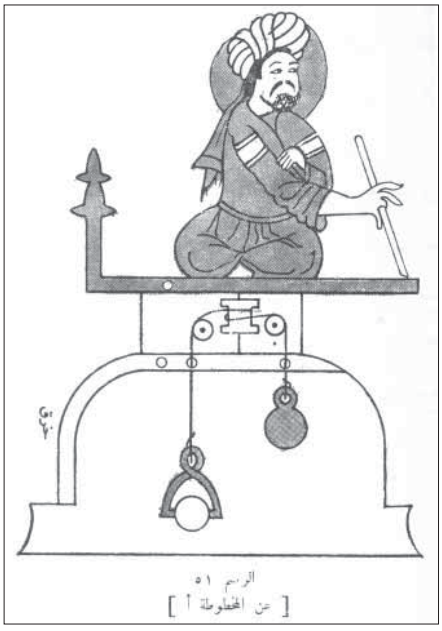

الرسم ٥١
[عن المخطوطة أ]

إننا نلاحظ هنا، وبضورة جلية، أن اختراعاً من هذا النوع يلبي احتياجاً إنسانياً مباشراً، وله وظيفته العملية، يستند إلى الابتكار عبر توظيف علوم مختلفة، من بينها الهندسة والميكانيكا، تجتمع معاً في روابط بصرية جمالية تتضافر فيها ثقافات ومعارف عديدة أفضت إلى هذا الابتكار الذي أسس، وعبر قرون تلت، لمبتكرات كثيراً كان يمثل أساساً لها، كما مثلت ابتكارات أخرى سبقته ملهماً لإنجازه.

يمثل هذا الاختراع، وغيره من الاختراعات التي أنجزها الجزري، كمهندس فذ، رؤية متقدمة ومنفتحة للحياة، ولدور الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الإنسانية؛ إن في عمله انفتاحاً على المستقبل كما هو انفتاح على التاريخ، انفتاح على الثقافات والأمم كما هو انفتاح على الثقافة العربية بمكوناتها المختلفة.

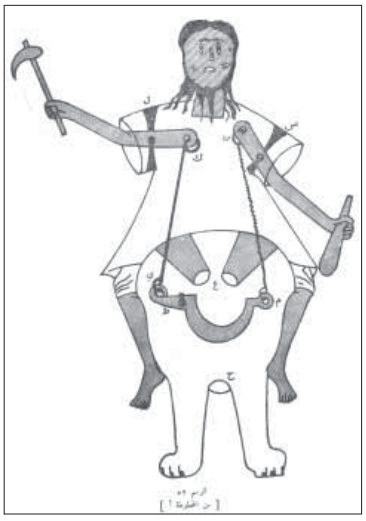

في هذا العدد من «رؤى تربوية» ملف واسع حول العلوم، وفي سياق رؤيتنا للعلوم، فنحن نراها ضمن رؤية شاملة متسعة مترابطة يتداخل فيها الوظيفي مع الجمالي، والتاريخي مع المعاصر، والأسطوري مع الواقعي، والنفسي مع الاجتماعي، والمدرسي مع المجتمعي، والفردي مع الجماعي ... وهذا ما نحتاجه في تعليمنا المدرسي، وعلى هذا النحو ينبغي أن يكون التدريس في مدارسنا، وطالما أننا اليوم نعيد النظر في المناهج في فلسطين، وبخاصة مناهج المرحلة الأساسية الأولى (1-4)، فإن هذه الرؤيا، وهذا التوجه، ينبغي أن يكون ملهماً لنا في تكوين توجه مختلف عما كنا عليه حتى الآن، ننتقل به إلى فضاء أرحب وأعمق وأكثر ارتباطاً بحياتنا وبعصرنا وبمستقبلنا.

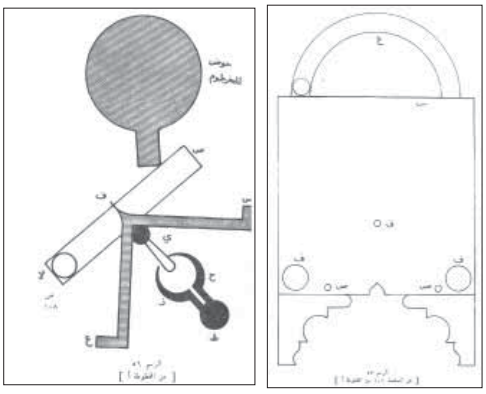

يمكن النظر في الرابط المرفق لرؤية عمل «ساعة الفيل» المعروض على موقع متحف العلوم والتقنية في الإسلام:
http://museum.kaust.edu.sa/arabic/explore-4-technology.html

الهامش

1 الرسومات الواردة في ثنايا المقالة هي كما وردت في إحدى مخطوطات الكتاب.